بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

مقدمة

بقلم الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور شاهين

هذا الكتاب من نوادر الفكر النقدى الإسلامى المعاصر فهو نادر فى موضوعه، نادر فى ظروفه التى يخرج فيها إلى قرائه، **فأما عن الموضوع** فإنه المعركة الدائرة بين الإسلام المعاصر، وأعدائه من المنتسبين إليه إفكا، يعلنون الإسلام، ويبطنون رفضه، والسعى إلى الإجهاز عليه، يتسمَّوْن بأسماء الإسلام، ويطفحون سموم بغضه، ويشوهون حقائقه، قالوا: إنهم مسلمون، وما أسلموا إلا للشيطان، وما تعبدوا إلا فى محرابه، وإذا كان من بينهم النصرانى سلامه موسى، فإن سلوكياتهم لا تختلف عنه فيما سطرت أقلامهم، أو أفرزت أمخاخهم ﴿ **وما تخفى صدورهم أكبر** ﴾.

لقد اختار المؤلف ـ رحمه الله ـ لموضوع دارسته أربعة من (العتاولة) أعداء الحق فيما جاء به الإسلام، وعهدنا بالكتب أن تتصدى لعدو واحد تدفع كيده، وتكشف زيفه، ولكنه ـ وهو الفارس المغوار ـ لم يقنع بأن يواجه على الحلبة غريما واحدًا، بل جاء بأربعة غرماء دفعة واحدة، لينازلهم، ويسدد سهام قلمه إلى أكبادهم، فكان هذا الكتاب عن أعمال نشرها كل منهم بطريقته، والله أعلم بالجهات التى تمول هذه المنشورات.

إذا كان الأولان قد رحلا عن عالم الأحياء، فما أحسب أنهما يختلفان عن الآخَرَيْن، **فالكل موتى** إذا اعتبرنا الموت بموت الحق فى النفس، وغيبة التقوى عن الضمير، **والكل عدم** إذا عدم العدل فى الحكم، وهيمن الجهل والغش على حيثياته. والكل عُمْىٌ إذا نظرنا إلى عَمى البصيرة، وما تغنى العين حين تكون مجرد مرايا مذعورة فى الوجوه، وما تغنى الآذان، إن كانت مجرد غضاريف معلقه على الأصداغ، وما تغنى القلوب، إذا كانت مجرد مقالب لنفايات الضلال وصدق الله ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا**

يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ - ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ - ﴿ وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير ﴾. ﴿ وقالوا قلوبنا غلف، بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ﴾.

هذا عن الموضوع، وأما عن الظروف التى يظهر من خلالها الكتاب فما أحسب أن كاتبا أفضى بآخر أنفاسه على صدر كتاب كما أراد الله مثل **محمد جلال كشك**، لقد ظل يدافع عن الحق، ويناضل سهام الباطل، حتى فاضت روحه إلى بارئها وهو يزفر بأنفاسه الحارقة فى وجه الجهل والكذب، وشَاهَ الوجهُ الكذوب، ورجعت النفس الزكية إلى ربها راضية مرضية.

إن هذا الكتاب تعرية كاملة لرموز (التزوير والتنويم) المعروف فى بعض الأوراق بالتنوير، وهو نذير لهم بين يدى عذاب شديد سوف يواجهونه ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾.

وإن كنا نظن أنهم لا يحسبون حساب هذا اليوم وهم يقذفون بالغيب من كل مكان، تحديا لله ورسوله، ورفضًا أو تأويلا لما أنزل الله من الكتاب والحكمة.

وهذا الكتاب دراسة موثقة لفترة من فترات التاريخ المصرى المعاصر، فى وقت قلت العناية بالتاريخ ، حين قر فى وعى المثقفين ما زعمه بعضهم من أن بداية التاريخ المصرى كانت (يوليو ١٩٥٢) ، وما سبقها فهو داخل فى زمان ما قبل التاريخ، على الرغم من أن حلقات التاريخ المصرى متشابكة، تلد كل حلقة تاليتها، وتمنحها صفاتها، وما شخوص اليوم إلا إفرازات الأمس، وما الاختلاف إلا بصمات الأسلاف، فلا فرق كبيراً بين ما يقوله العشماوى، وتخرصات عبد الرازق، ولابين ما يهدف به أبو زيد وفحيح سلامة موسى، حتى إنى أحيانا أتصور أن المرحوم جلال كشك لم يمت بالأزمة القلبية كما أذيع، بل لقد مات بالاختناق نتيجة العفونات التى ظل يتنفسها فى كتابات هؤلاء (الأربعة)، وما كان له أن يتحمل لمدة طويلة هذا

التلوث، فقضى رحمه الله نحبه، بعد أن أدلى بمواصفات الجناة، ودل على معاطنهم.

ولا غرابة أن ينتصب بعض الأغرار لمحاربة الإسلام الذى أحسن إليهم، ومنحهم هويتهم، فكثيراً ما يعض اللئام اليد التى تمتد إليهم بالإحسان، ولقد جنى كل منهم فيضاً من إحسان الإسلام إليه، ما فى ذلك شك، ولكنه الطبع الخبيث يأبى إلا أن يكون لئيماً.

ومن المؤكد أن المؤلف لم يقدم هذه الدراسة النقدية الساخنة على أنها نهاية المطاف فى جهود التصدى للتهجم على الإسلام، ولكنها كما قلنا نماذج وعينات لمن يتربعون فى بعض المواقع، والمناصب الثقافية، لايفرزون إلا فضلات مختلطة بوباء (الإيدز) الثقافى، وهم بالطبع عدد من الصحفيين والمشتغلين بالكتابة والصحف، ولكنهم بالقطع مروا على أجهزة الثقافة، وهم فى طريقهم إلى نشر المرض.

وعهدنا بمن يدعون إلى اتجاه أو مبدأ أن يكونوا حزبا أو جماعة ذات فكر وفلسفة، ولكنهم فيما رأيناهم أوشاب لفقتها ظروف الانتهازية السياسية الراهنة، حين أغلقت فى وجوههم أبواب التربح والارتزاق والماركسية، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، حتى انكشفت السوءات، فطفقوا يخصفون عليهم من فلوس الثقافة وميزانياتها، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا أنواعا من (البودى جارد) لحراسة منابع الإيدز الثقافى، ولو أنهم كانوا قادرين على إنشاء حزب أو تكوين ناد يضمهم، ويكون منبرا لهم - لفعلوا، ولكنهم هكذا نشأوا على علاقات الخلايا والسلوكيات التحت أرضية، والعمل حسب الطلب ممن يملك العطاء، فعلى جبين كل منهم لافته مكتوب عليها (ضمير للإيجار).

إن لكل عصر عيناته الوبيئة، التى تتمثل فى إعداد جهلاء، وإذا كنا قد وقعنا فى هذه العينة على النصاب المغامر، أو المتعالم بلا كرامة، أو الجاهل الدعىّ، أو المغرور المأجور، فإنهم وإن اختلفوا ملتقون على قاسم مشترك بينهم هو الحقد على الإسلام الذى لم يسبق أن قتل آباءهم، ولكنه للحق حرم عليهم أن يعيشوا حياة بوهيمية، أو أن يتاجروا بالنفاق، أو أن يقولوا الزور فى محكمة الفكر. فأما الهراء فهو مرتعهم

الطليق، لاحرج عليهم فيه ولا تثريب.

والغريب أن يتصور هؤلاء أنهم قادرون على مناهضة تيار الإسلام الهادر، ولقد سبقتهم عصور وأجيال شهدت أمثالهم ممن حاولوا التصدى للحق، فما قدروا على شئ مما أرادوا، وانتهوا إلى النهاية المحتومة، وصاروا أصفارا يسارية لاحساب لها.

وكذلك هى العاقبة التى تنتظر هؤلاء ، أن يظفروا بالخيبة، وأن يؤولوا إلى الفشل، وأن يسكنوا مخزن المهملات التاريخية، وحسبهم أن يقرأوا قول الله تعالى: ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾.

رحم الله جلال كشك فقد كان شجاع العقل فى حياته، وكان مقاتلا فى نهايته، حتى لحق بموكب الشهداء، وقول شوقى أمير الشعراء:

إن الشجاعة فى القلوب كثيرة ووجدت شجعان العقول قليلا

وإنا لله، والموعد الله لمن كان يرجو لقاء الله

عبد الصبور شاهين

مقدمة المؤلف

هذه كلمات بعضهـا كتب من ثلاثين سنة «سلامه موسى» وبعضها عـالجته بعجالة من أربع سنوات وأفضت فيه هذا العام «على عبـد الرازق» وبعضه جديد اعالجه لأول مرة وإن كنت قد تناولتـه بتعليقات عابرة فى الصـحافة «أبوزيد والمستشـار وصمويل» وكلها تدور حول نفس القضية: المواجهة بين العالم الإسلامى والغرب وما يتفرع عنها من قضايا تدور أساسا حول كيف نتقدم، كيف نبنى المجتمع المدنى، ونلحق بالعصر، كيف نتحـرر من موقع التابع المهزوم المتلقى.. وهى قضايا أزلـية، وكل ما أرجوه أن لا يضطر اولادى او حتى احفادى لتكرار نفس القـول، لأننا ندور فى حلقة مفرغة منذ أن استيقظنا على مدافع الحملة الفرنسية، لنكتشف أننا فقدنا التفوق على الفرنجة واننا اذا لم نمتلك مدافعهم فسندفع الثـمن فادحا.. ولم نمتلك المدفع ودفعنا وما زلنا ندفع.. ذلك اننا منعنا وفشلنا فى اكتشاف الجواب الصحيح على سؤال كيف نمتلك المدفع..

تفاوتت الاجوبة من المتخلفين الذين ناموا عـشرة قرون على التراث وأفاقوا يقولون لا حاجة لامتلاك المدفع ، لأننا اذا حملنا حجابا من التراث فلن تصيبنا طلقات المدافع، واذا اصابتنا فلن تضـرنا اذ لا يعقل أن الكافر حليف او عميل الشـيطان يهزم المسلم الذى تقاتل معه الملائكة !

لم يكونوا ينطقـون باسم التراث ولا يستندون اليـه بل ينامون عليه ـ مع الاعـتذار للنين او لعله ستالين الذى قال ما معناها؟ لا هم فهموا التراث ولا هم ادركوا حقائق العصر.

فالنبى صلوات الله عليه كان يتنزل عليه الوحى، وتقـاتل معه الملائكة حقا وصدقا ولكنه اذا خرج للقتال لـبس درعين يحميانه من سهام الأعـداء ، وحفر الخندق حول المدينة ليـمـنع خـيلهم من ان تصل الـى المسلمـين . ولما اخطأ جنـده ولم يلتـزمـوا بضرورات الحرب ونظمها،اصابته السـهام صلوات الله عليه حتى كسرت اسنانه وسال دمه الطاهر بأبى وأمى. وعندمـا جاءه جبريل يخبـره ان اليهود يتآمرون لإلقـاء حجر عليه أثناء جلوسه مـستندا الى حائط حصنهم. لم يقل له جـبريل ستغطيه غـمامة أو سأصد عنك بجناحى بل أمره بأن يقوم من مجلسه لكى لا يسقط الحجر عليه !

فكيف ينسب أو ينتسب للاسلام من يتوهم انه اذا حمل حجابا او قطعة من الحجر باركها شيخ فلن تصيبه مدافع الهاون . .؟! ليس هذا من التراث ولا من الإسلام إنما هو من التخلف . .

فشل هؤلاء فى حماية امتنا وفشلوا فى اكتشاف الحل وان كانوا لم يقصروا فى الاستشهاد دفاعا عن هذا الوطن . فلم يفرطوا فى الشرف وإن فاتهم النصر ! صدقوا النية وأخطأوا الاجتهاد فأخطأهم التوفيق ولخص مأساتهم. أليكسى هيلى عندما ثار العبيد وامتلكوا السفينة واعتقلوا كل الضباط والبحارة البيض واهملوا صبيا فى الثانية عشرة استطاع ان يتسلل للمدفع ففتك بهم واعادهم صاغرين لسلاسل العبودية وسوط السيد الابيض الذى بدا لهم فى غالب الوقت لا يتفوق عليهم الا بهذا المدفع وكانوا بالطبع مخطئين فى التشخيص، فأخطأوا العلاج. . فقد كان المدفع نظريا ملكا لهم عندما سيطروا على السفينة بضع ساعات. . ولم يفكروا فى استخدامه او حتى تعطيله ولا كان بوسعهم . وحتى لو عرفوا تشغيله تكنيكيا فقد كانت نتيجة المعركة محسومة بفعل قرنى التقدم فى اوربا والتى كانت محصلتها مركزة فى الصبى الذى تصرف بتأثيرها. .

حتى لما حصل الهنود الحمرعلى البنادق والخمر عجل ذلك بالقضاء عليهم !وهو نفس ما يحدث لنا كلما اندفعنا فى استيراد السلاح من الغرب اذ يتناسب حجم هزيمتنا طرديا مع زيادة تسلحنا . .

صحيح أن التكنولوجيا هى الأداة المباشرة فى قهرنا ولكن الحصول عليها قضية مختلفة تماما عن امتلاكها ، بل هناك مقومات إذا امتلكتها الأمة تصبح اكثر تفوقا ولو كانت أقل تقدما فى التكنولوجيا. فالفيتنامى كان أكثر تفوقا بمعداته البسيطة من الامريكى بترسانته التى تحولت الى قيد يشل حركته، او كما قيل كان الهندى بطائرات الروس المتخلفة أقدر على امتلاك التفوق التكنولوجى على الباكستانى بالطائرات الامريكية الشديدة التعقيد. وقد أخطأ فريق من المخلصين الذين حصروا همهم فى استيراد التكنولوجيا ولو حتى فى شكل مصانع . فليست القضية هى الحصول على التكنولوجيا باستيرادها بل امتلاك مقومات التعامل معها .

وعلى الجانب الآخر وجد الذين أخطأوا السؤال والجواب ولكن فى الاتجاه المضاد فقالوا إننا لن نمتك المدفع الا اذا تخلينا عن ديننا وحاكينا الفرنجة فى كل شىء. . وكان بعض هؤلاء من المخلصين الطيبين الذين ضاقوا ذرعا بتخلف مجتمعاتنا وجهل شعوبنا وجمود شيوخنا فكفروا بكل شىء، ولم يحققوا شيئا وأكبر مثال عليهم هو تركيا الكمالية. . بل كل الحركات الإصلاحية فى العالم الاسلامى التى حاولت أن تبطل حجة اوروبا بالسعى الى امتلاك الدستور وتحرير المرأة والانفتاح على الاوربيين واقتباس عاداتهم ففتحوا الباب للاحتلال الاوربى وفقدوا الاستقلال . . وليس مصادفة أن احتلال مصر وتونس هو الذى عصف بالحركة التى كان الافغانى وخير الدين قد نجحا فى خلقها. واذا كان المصلحان ارادا الديموقراطية لمواجهة مؤامرات اوربا. . فإن بعض البسطاء ظن أن أوربا لا تكره منا الا تخلفنا واستبداد حكامنا . . ليفاجأوا بأن اساطيل اوربا تضرب محاولتهم التقدم وتعصف بما اقاموه او انتزعوه من نظم دستورية وتمثيلية. . حتى استقر فى خاطر العامة أن هؤلاء المصلحين هم الذين تسببوا فى احتلال البلاد بفتنتهم !

وكان بعضهم مجرد عميل صريح للفرنجة تبرأ من اهله او اعتذر بفقرهم وتخلفهم ليتعهر ويبيع روحه للأجنبى !وهؤلاء هم الذين روجوا فكر التبعية والانحلال والانتماء للقوى أو لحضارة العصر وأخيرا للعلمانية البورجوازية والاشتراكية والصهيونية . . أى سيد يقبل استعمالهم واستئجارهم لكى يبعدوا شعوبنا عن الطريق الصحيح لامتلاك المدفع ، بل هم هؤلاء الذين قالوا ان المدفع غير وارد فى القضية من اساسها ، وأن ثورة العبيد من اصله كانت عملا دبره المتطرفون المتعصبون الانغلاقيون ، عملا متخلفا رجعيا يراد به اعادة العبيد الى غابة الرجعية والتخلف فى افريقيا ، بينما وجودهم ولو فى قاع السفينة وفى السلاسل ، انما يعنى انهم جزء من السفينة التى تشكل آخر كلمة فى الحضارة التى هى انسانية وليست غربية فقط ، ومن ثم فهم ـ ولو فى العبودية ـ يواكبون حركة التاريخ ويسمحون للأوربى بنقلهم الى العالم الجديد. وها هو التاريخ يشهد ايهم احسن حالا؟ الذين بقوا أحرارا فى افريقيا ام جيكى جاكسون ومارتن لوثر كنج وغيرهما من مشاهير

الزنوج الامريكيين الذين كان من حظهم أن تفتح أجدادهم للحضارة العالمية فألقيا بأنفسهما عامدين متعمدين فى شبكة صائد العبيد !

وهذا هو المنطق الضال المضلل الذى نناقشه فى هذا الكتاب .

منعنا من امتلاك المدفع هو الهدف الاساسى الدائم منذ ظهور الاستعمار الاوربى الى اليوم. وقد تم ذلك تحت شتى الشعارات وبمختلف التنظيمات من القراصنة والجزويت ومحاكم التفتيش الى الجامعات والمؤسسات الدولية والمعاهدات من الامم المتحدة والبنك الدولى ومؤسسة الطاقة الذرية وعشرات تنظيمات حقوق الانسان. وقبل ذلك كله جهود وكتابات وحكومات من سماهم صمويل هنتنغتون بـ «المتعاونين والمؤمنين بحضارتنا» وصمويل هوالبروفسور الامريكى الذى كشف بصراحة نادرة مخطط الغرب فى استعباد العالم. هؤلاء المتعاونون الذين يعملون لاستمرار سيطرة الغرب واستمرار تخلف أوطاننا يتسترون فى كل مرحلة تحت شعارات علمانية وتقدمية ويسارية وأممية .

وقد تصدينا لقضية التحديث منذ زمن مبكر ربما فى الستينات وانا اول من وضع شعار: «التحديث لا التغريب» وشرحت الفرق بينهما فى النصف الثانى من القرن العشرين، وإن كان قد سبقنا إليه بالطبع بعض الرواد فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لأننا كما قلت ندور فى دائرة مفرغة ، تجابه كل جيل نفس المشكلة ونكرر نفس الأجوبة لننتهى جميعا بالفشل .

وإذا كان كتابى « القومية والغزو الفكرى » قد خُصص للرد على عملاء الامبريالية الذين أرادوها قومية معادية للاسلام عميلة للغرب وتوجوا لورنس رائدا لقوميتهم العربية بينما لم يدرجوا جمال الدين الافغانى فى قائمة الشرف. . وأرخوا عروبتهم بثورة لورنس -مكماهون - عوده ابو تايه الذى باع دينه بطقم أسنان ـ الشريف حسين الذى باع ويبيع احفاده أى شىء مقابل عرش أى عرش! اعتمد القوميون العرب هؤلاء وفعلتهم. . واستبعدوا الثورة الوهابية، والسنوسية والمهدية بل وتحفظوا على الثورة العرابية وسموا ثورة ١٩ ثورة الأفندية وأسقطوها من سفر العروبة مع انها كانت محاولة لتحرير اكثر من نصف العرب وقتها !

اقول انه رغم موضوع الكتاب فقد ناقش بالضرورة الحل المنشود .ثم كان كتاب «ودخلت الخيل الازهر» الذى تعتبر مقدمته الى اليوم الاجابة الشاملة فى قضية التحديث والتغريب ولا أظن اننى أتواضع لوقلت أن أحدا من الذين كتبوا فى هذا الموضوع بعد ١٩٦٦ لم يتأثر به. وفى صيف ١٩٦٧كان الكتيب الاشهر : «الطريق الى مجتمع عصرى» الذى كان نقطة تحول فى الفكر الاسلامى المعاصر ، ثم كانت «اخطر من النكسة» و«النكسة والغزو الفكرى» وفى ١٩٦٩ طفت من الجزائرالى لوس انجلوس احاضر المسلمين حول « طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية » الذى صدر فى كتيب وتقرر فى بعض الجامعات ليسحب على عجل .وعندما كنت ألقيه فى قاعة ابن خلدون بالجزائر العاصمة وكان مالك بن نبى حاضرا قال لى انه لأول مرة يشاهد الشباب الجزائرى يتخلى عن تحفظه من فرط تجاوبه وتحمسه . . من هذا ترى اننا معنيون بالثورة الصناعية مهتمون ببناء المجتمع العصرى وليست القضية ابدا هى الحنين لقطع يد السارق او ركوب الناقة. . ذلك تزوير عملاء لا يهدفون ولا يخدمون الا استراتيجية منع قيام المجتمع العصرى فى بلاد المسلمين ومنع المسلمين من انجاز الثورة الصناعية، منع قيام المجتمع المدنى، ذلك المجتمع المدنى الذى عاشت فيه حضارتنا ما يقرب من اربعة قرون ثم سقط بفعل الغزوة الصليبية والاجتياح المغولى فأصبحت حماية الوجود مقدمة على طلب التقدم، وبالتالى نشأت طبقة العسكر المحترفين وتولت الدفاع عن الكيان ثم حكم الكيان وعزلت القيادات المدنية من العلماء والفقهاء والتجار والاعيان. . وأخضعت العامة وشتتت تنظيماتهم وأخفت صوتهم ، بحجة انه لا صوت يعلو على صوت المعركة . . او الجهاد بلغة العصروالذى احتكره العسكر مع ما فى ذلك من مخالفة لتعاليم ديننا ومفاهيم وممارسات الذين صنعوا حضارتنا . فقد كان الجهاد فى مفهومهم يعتمد على الأمة المجاهدة لا الجيش المحترف . . بل لقد ذهبنا فى تفسيرنا لحكمة تشريع الجهاد وفرضه على كل مسلم ومسلمة هو منع قيام طبقة العسكر . .

فلما وقع المحظور وظهرت طبقة المماليك واعلنت ان ليس على العامة خروج. . سقط المجتمع المدنى فى العالم الاسلامى وبدأ ظهوره فى اوربا مما افضنا فى تفصيله

منذ ربع قرن بالتمام. ويأتى اليوم من يدعى اكتـشاف قضية المجتمع المدنى . . وبروح التزوير التى تشربوا بها نراهم يزيفون القضية، اذ جعلوا المجتمع المدنى يعنى العلمانى وأنه لا يكون مدنيا الا اذا كان مضادا للدين أو الدولة الدينية . . إلخ

ولو صح زعمـهم فنحن اذن ننعم بالمجتمع المدنى من زمـان فما هى مـشكلتنا وما هى أزمتنا وما هى قضـيتهم. . هل يمكن القول انها الدفاع عن المجـتمع المدنى القائم فعـلا ويتهدده خطر الزحف الدينى الذى سـيفقده الطابع المدنى ويخـضعه للمؤسـسة الدينية. . ؟!

نحن نقـول أن المجـتمـع المدنى بدأ فى التـراجع فى مـصر أو إن شـئت العـالم الاسلامى منذ الحروب الصليـبية، واستمر تدهوره ومقـاومته فى نفس الوقت، فكان ينتـعش مع تدهور طبـقـة العـسكر «المماليك». . وابتـعـاد الخطر الأجنبى، وقـدرة البورجوازية المصرية على المقاومة او استعادة واحـدة من ارواحها السبعة التى يخنقها العسكر او الحكم الاجنبى فى كل مرة. حتى جاءت الحـملة الفرنسية وانهار العسكر، ففر مـنهم من فر الى الشام، اما الذين أحـيط بهم فلجأوا الى خيـمة الجنرال بونابرته حيث عملوا فى خدمتـه كعملاء وكانوا على استعداد لاسـئناف ضرب الشعب لحساب سر عسكر الفرنسيس، وعملوا فعلا معه فى ضرب ثورات المصريين ونهب أموالهم. .

وعندما غاب عـسكر المماليك من الساحة وسقطت شـرعيتهم بتخليـهم عن المعركة التى حكموا البلاد باسـمها اربعة قرون على الاقل. . خلت الساحة لـلمجتمع المدنى المصرى ، الذى حمل المواجهة ضدجيش الاحتلال الفرنسى، وخلال ثلاث سنوات نما هذا المجتـمع كالنباتات البـرية وسيطر على الاحداث فـاستهلك قـوة الحملة الفرنسـية وهزمها وطوى صفحتها، ثم صفى النفوذ العثمانى، وتحدى السلطان فى اهم امتيازاته وهى تعـيين الوالى اذ اسـتطاع المشايخ والتـجار والاعـيان واولاد البلد. . الحـرافيش والزعران طرد والى السلطان وتعيين الذى وقع عليه اختيارهم، لاعتقادهم انه يمكن ان يحـقق اهدافهم. ولكنـه كان عـسكريًا حتى النخـاع وإن تعلم من اوربا ان يصـبغ بشرته بلون متحضر، اذ سرعان ما حطم قيادات المجتمع المدنى ثم عسكر المجتمع كله

ووضعه فى خدمة الجيش .

ما علينا . . دار تاريخ مصر منذ الحملة الفرنسية الى اليوم فى دائرة مغلقة أو كاتش ٢٢ . .المجتمع المدنى يحـاول ان ينهض فيضرب بيد العسكر سـواءالعسكر المصرى او الاجنبى حتى نصل الى ضربـة عبد الناصر القاتلة . . ورغم ذلك عـاد المجتمع المدنى يطل برأسه مـن جديد فى فتـرة السادات ومـا بعدها وكان ابرز مظاهـر هذه النزعة ، محاولة الاستقلال عن الدولة فى الخدمات والاقـتصاد ، فظهرت الدروس الخصوصية والمدارس الخاصة والمستشفيات الخاصة وشركات توظيف الاموال.

و تطورت الامور الى نوع من الادارة الذاتية كما حـدث فى الزاوية الحمراء وامبابة والمطرية ومعظم بلاد الصعيد . .اما فى مواجهـة البيروقراطية الفاسدة التى لا مفر من طلب اختـامها واوراقهـا ، فقد لجأت الجـماهير الى الحل الذى حـاول فيلم الارهاب والكباب عرضه وفشل . .أعنى إنجاز المعاملة بالسلاح . . مهما اختلفت اشكال التعبير التى اتخـذها ولكن الرسالة كـانت واضـحة . . نحن لا نملك مـا نرشوك به. . انجـز معـاملتنا والا فإن الجمـاعة يستـخلصون حقنا . . ولذلك ارتفـعت الصيحـات تهاجم الذين اقاموا دولة داخل الدولة . . وكان من الطبيعى ان تسحق الدولة الاكبر محاولة التمرد . .على الاقل جـانبها السلمى . . وكل ما نراه من صـراعات وعنف وازمات واصطدامات يمكـن ان ندرجه تحت عنوان واحد هو صـراع المجتمـع المدنى للافلات من قبضة الدولة . . تلك الدولة التى تستمد شرعيتها التاريخية من انقلاب عسكرى ، وتعتمد فى استمرارها وحمايتها فى اللحظات الحاسمة على الاقل على القوات المسلحة والتى تقيم مـجتمعـا يحتل فيه الضـباط المرتبة الاولى بل ويرفضـون تخطى اى مدنى لمستوياتهم.

ولا شك ان طرح القـضيـة على هذا النحـو يدعم حجـة المدنيـين ويجمع حـول قضيتـهم الرأى العام ، ويسهل مهمة تغـيير شكل الدولة وتحقيق الانفـراج الاقتصادى والاجتمـاعى فيحل السـياسى محل العسكرى ورجل الاعـمال محل البيـروقراطى او السيد اللواء مع كل ما يصاحب ذلك من تطوير وتحديث ومقرطة . .

وبالطبع فإن القـوى التى تحكم المجتمع المصـرى وتستفيـد من هذا الحكم لا تقبل التنازل ولا ترضى بتصـفية دورها ، وهى تلجـأ الى البطش المباشـر الذى لم يسبق له مثيل ، وفى نفس الوقت تغطى اهدافهـا الحقيقية وتخفى طبيـعة الصراع باتهام القوى الساعـية لإزالتـها بشـتى الاتهامـات ، فهى تصادر شـركات توظيف الامـوال وتفلس مصانعها وتبـدد ممتلكاتها وارصدتها وتنزل بالمودعين خسارة فادحـة وعقابا صارما على محاولتهم الافلات من قبضة البيروقراطية ، وتنكل بالذين حاولوا بناء الاقتصاد خارج هذه القبضة ، فـتعاملهم كالمجرمين «ينامون عـلى البرش ويبولون فى الجردل »!! ولا يحقق تدخـل الدولة الا خسارة المودعـين وضيـاع الايداعات وافلاس مـا شيـد بهذه الايداعات ووقوع نكسة شاملة للاقتصاد والمجتمع المدنى . .

اما القيـادات الفكرية للمحاولة المدنيـة فتكال لها الاتهامـات السياسية والـعقائدية والبوليـسية ، فإذا حـاول مصريون مـسلمون الدخول فى صناعة الـكمبيوتر ليلحـقوا بالعصر ومواجهة الزحف الاسرائيلى الذى يحـتكر البرامج العربية . . ويصدر لامريكا مكونات الكمبيوتر . .اذا ما حاول مصريون الدخول فى سوق الكمبييوتر، واصطدموا بالفساد الذى يريد احتكار عمليات الدولة ، ضربوه بزعم انه غطاء لعمل سرى ثورى ارهابى مسلح ويحتفظ باسماء الاعضاءعلى اجهـزة الكمبيوتر والبرامج التى يستخدمها . . وبالطبع ان التنظيم المسلح لا يحتاج لشركة كمبيوتر كاملة لكى يحتفظ بدسك عليه اسماء اعـضاء التنظيم ، بل يكفى كمبيـوتر يعمل فى خمارة بعيداً عن الشـبهات. ولا حاجة لهذا التنظيم ان يشـهر نفسه تحت اسم اسلامى هو السلسبـيل! بل كان المعقول هو ان يبحث لنفسـه عن اسم لا يثير الشبهات مـثل الصليب الدولى او نجمة داود او اسد يهـوذا او الروتارى. . كانت محـاولة لحماية الوجـود واسم سلسبيل هو مـجرد مواجهة او حتى منافسة فى اسواق المسلـمين ، لاسم «الاسفار» الذى يتسمى به اشهر برنامج كمبـيوتر اسرائيلى وترجمناه او ترجموه لنا باسم "النصـوص " . . يا حسرتنا وخيبتـنا . .واسرائيل تسند برامج الكمبيوتر للنصـوص وابوزيد يتوج منور القرن لأنه يرفض ان يستند الفقه للنصوص !

وقد اقتنعت النيابة بتهافت الاتهام و امرت بالافراج عن كل المتهمين فى قضية الكمبيوتر او سلسبيل . . ولكن هيهات ! لقد ضربت المحاولة ولن تقوم لصناعة الكمبيوتر قائمة فى مصر . .

وفى السنوات الأخيرة اتهمت محاولات البعث الحضارى ، بمحاولة اقامة دولة دينية كهنوتية . . صدر الاتهام من امريكا واسرائيل وتبناه على الفور موظفون مصريو الجنسية يعملون فى مؤسسات امريكية، ويقبضون بالدولار! ولأن هذا الاتهام لا يمكن ان ينهض على ساق لسبب بسيط انه ليس فى الاسلام لا كنيسة ولا رجل دين ولا حاكم باسم الله او نيابة عنه . . لذا لا يجدون سبيلا الا الكذب والافتراء ، وكلما ضاق عليهم الخناق اضطروا لكشف الاقنعة التى يحاولون التستر خلفها واخرهم هذا الذى قال ان الدولة الدينية الثيوقراطية المرفوضة لا تحتاج لكنيسة بل بمجرد انتساب الدولة لدين تصبح دولة دينية فيها وفيها . . !! وهو بذلك يكشف الهدف الحقيقى لكل الدعاوى التى تتستر خلف العلمانية او التقدم او الخوف من الديكتاتورية الدينية . . إلخ أنهم لا يخشون الا الاسلام ولا يعادون الا الاسلام ولا يقبلون اقل من ازالة الاسلام وفرض وضع كذلك الذى فرضه أتاتورك أو حاوله بورقيبة . .

انهم يتشدقون بالديموقراطية وهم يؤيدون ويعملون ويقبضون من احط النظم ديكتاتورية . يؤيدون ديكتاتورية لا شك فيها بزعم التخوف من ديكتاتورية محتملة . . والجماهير لا تعيرهم انتباها فهى تكشف كذبهم ونفاقهم ، والجماهير تعانى من ديكتاتورية وفساد النظم التى يعمل لحسابها هؤلاء ويضربون بسيفها مما لا يترك مجالا لسماع ترهات المثقف العميل . .

ومنذ أن بدأت الغزوة الاوربية المسيحية لبلادنا بدأ معها الغزو الفكرى ، فأول حملة جاءت بالمستشرقين والمطبعة ثم المبشر . . والى اليوم يعمل المبشرون على اخراج المسلمين من دينهم «١»والاثنان المستشرق والمبشر ، استعانا بجيش الاحتلال على تزوير الفكر فى بلاد المسلمين والسيطرة على التعليم لاخراج المسلمين من دينهم وتيسير قبولهم للاستعمار دون حاجة لاستفزاز التنصيرالمباشر . . بل بخلق الاسلام

العيسوى وهو تعبير سُكَّ فى اجتماعات المبشرين ونشر علنا فى كتبهم فى النصف الثانى من القرن العشرين فى اطار الهدف الذى اعلنوه وهو القضاء على الاسلام قبل عام ٢٠٠٠. وهو ما يسعون اليه منذ أربعة قرون. فكما يقول برنارد لويس فى مقدمة كتابه «الاسلام والغرب ١٩٩٣»: «لقد تبين الغرب استحالة تنصير المسلمين» وهذاصحيح اما ما لم يقله برنارد فهو ان الغرب قرر تنصير الاسلام نفسه ، بخلق ما يسمونه الاسلام العيسوى ، تجريد الاسلام من كل خصائصه وما يميزه ، تفريغه من محتواه . . .ولا شك ان اهم ما يميز الاسلام هو قضية الحكم. . فالاسلام كما يقول المسلمون ويعرف المستشرقون لم يترك ما لقيصر لقيصر ، بل لم يقبل اساسا استمرار قيصر ، وقد حقق فصل الكنيسة عن الدولة بالغاء الكنيسة و ليس التخلى عن الدولة، فالحكم فى الاسلام قضية اساسية بدونها لا يستقيم دين ولا تصح دنيا . . والدولة فى الاسلام كما قلنا هى المؤسسة الوحيدة المخولة بالدفاع عن المسلم والاسلام . . فضلا عن التطور التاريخى الذى ادى لسقوط بلاد المسلمين تحت سيطرة واحتلال واستعمار الدول المسيحية . . ومن ثم اصبح التمسك باسلامية الدولة هو جوهر وشكل وصيغة الكفاح من اجل استقلال الوطن وتحرر المسلمين . . وقد لجأ قادة الشعوب المسلمة فى استنهاضهم لهمة الجماهير للدفاع عن استقلال بلادهم ، الى اصدار الفتاوى التى تجعل قبول السلطة الاستعمارية والخضوع لها جريمة دينية ابتداء من رفض شيوخ الازهر شارة الاحتلال الفرنسى المثلثة الالوان «٢» الى فتوى شيوخ ايران بتحريم التبغ و اعلان لا ولاية لغير المسلم «٣»الى رفض دفن الجزائرى الذى يتجنس بالجنسية الفرنسية فى مقابر المسلمين الى الحجاب الى التمسك بالخلافة . .

ولم يكن من الصعب على الاستعمار ان يكتشف خطورة الايمان الدينى والشعارات والفتاوى الدينية فى تصعيد المقاومة الوطنية وشحن الجماهير ضد سيطرته، واذا كان قد استعان بالمدفع والبنادق الحديثة والحكومات العميلة فى ضرب الثورات، فقد أدرك ضرورة تجفيف المقاومة من المنبع ، تجريد الحركة الوطنية من اقوى اسلحتها وهو العنصر الدينى . .

كـانت اوربا تخرج فى جـحـافل الغزو والاسـتـعمـار باسم الدين ترفع الأناجـيل والصلبان على سوارى السـفن ، والقسس يباركون الجند وما يسلبـون ، وكان العدو الذى يقاتلونه فى كل مكان من اسـيا وافريقيا هم المسلـمين . .كان الزحف الاوربى الاسبـانى والبرتغـالى والروسى والهـولندى والبريطانى والفـرنسى ، يقاتل المسلـمين وعلى حساب المسلمـين . .من غرناطة الى جاوه ومن قازان الى عـدن. وحتى القرن التاسع عشر لم يكن هناك من يتصدى لاساطيل الغرب الا اسطول وقلاع المسلمين. . بل كان الاوربيون يعتبرون الكشوف وفتح العالم الجديد جزءا من الجهاد الدينى ضد المسلمـين ، فقد بدأت بـهدف تطويق المسلمـين وانتزاع البـحاروالتجـارة منهم . واول محاولة اوربيـة للوصول للهند كانت على جثة اسطـول مصر. . ويكتب برنارد لويس اكبر مـستشرق على قيـد الحياة واستاذ دراسـات الشرق الاوسط فى جامعـة برنستون وترجمت كتبه الى ٢٢ لغة . .يقول فى كتـابه المطبوع فى جامعة اكسفورد عام ١٩٩٣ حرفـيا : « فى عام ١٩٢٠ كـان يبدو ان انتصـار اوربا على الاسلام هو نصـر نهائى ودائم »«فالملايين التى لا حصر لـها من المسلمين وبلادهم الشاسعة فى اسيـا وافريقيا اصبحت فى قبضة الامبراطوريات الاوربية القوية . » « انظر الغرب والاسلام »

أمـا فى بلادنا فقـد استـأجـروا من يقول لنا . . لا تقـولوا انهـا حرب دينيـة ولا تستصـرخوا الاسلام والمسلمين والا كنتم متخلـفين ومتعصبـين! نفس اللعبة على المستوى التكنولوجى . .كانوا هم يتسابقون للتصنيع ويحرمونه علينا فيقررون ان مصر بلد زراعى ويشرعون ان المصنـع هومكان مقلق للراحة ضار بالصحـة ويعارض رجال الحملة الفرنسية فى اشتغال المصريين فى مصنع الجوخ الذى فتحوه فى مصر خوفا من "ان يتعلم المصـريون سر الصناعة فهم مـعروفون بذكائهم "«٤». . واسرائيـل خليفة الامبريالية الصليبية ، تمنع علينا انتاج القنبلة الذرية وتحتكر هى انتاجها ، وكذلك تقيم هى دولة على اساس الدين وتبعث اللغة العبـرية من الاجداث . . بينما نستأجر عندنا من يدعو لنبـذ اللغة العربية، والكتـابة بحروف لاتينية ، ومن يجعل اى انتـماء للدين تخلفا ورجعية . . حرموا علينا انتاج المدافع ليقتلونا ويستذلونا بها!وكذلك يفعلون .

ومنذ بدأ اعداد المنطقــة للامبراطورية الاسرائــيلية نشطت الجماعــة اياها من جديد تمهد لهزيمــة واستسلام العــالم العربى والمسلمين وانتصــار اسرائيل، وليس هذا الذى نناقشه إلا بعض قديمهم الجديد وجديدهم القديم..

فاقرأه واستوعبه واعمل على أن لا يضطر أولادى لكتابته مرة ثانية لأولادك .. أو حتى العكس!

مدريد ٨ نوفمبر ١٩٩٣

١-قــبض على مجــموعــتين مــن الأمريكان والكنديين يقــومــون بالتبــشيــر فى مصــر وتم ترحيلهم.، لم يتــساءل هؤلاء الذين يبشرون بزوال الاســلام وتخلف المؤمنين به ما الذى يدفع هؤلاء لترك مجتمــعاتهم المتمدينة المتحضرة العلمانيــة والمخاطرة فى بلادنا لتنصير المسلم ؟!ولماذا يمنع المسلم من الدفاع عن دينه ازاء هجومهم .. اما الجماهير فتربط على الفور بين نشاط المبشر الخواجــة وبين حملات عمــيله الذى يحمل اسمــا عربيا وكلاهمــا يعمل للقضــاء على الاسلام باخراج المسلم من دينه .

٢- انظر مناقشتنا فى كتاب « ودخلت الخيل الأزهر »

٣-"لا ولاية لغيــر المسلم" من القضايا الــتى أثارتها حديثــا قوى الفتنة اذ زعــمت انها تمنع المواطن المسيحى فى الدولة الاسلامية من تولى اى عمل على المسلمين من الوزارة فما دونها .وقد فوجئت بسؤال بهــذا النص فى مقابلة تليفزيونية جرت وراء البحــار. فأجبت على الفور .. ان الولاية المقصــودة هى السيــادة وهو شعار رفع فى مــواجهة الســيادة الاوربية على بــلاد المسلمين لاسقاط شــرعية حكم الاوربيين، وتشريع الــثورة ضدهم . أما فى ظل الدولة الاسلامــية فإن السيادة تصبح للأمة أو الشــعب أو الدولة ممثلة فى مؤسساتها التى يعمل باسمــها وتحت سيادتها الموظف بصرف النظر عن الدين .. فالولاية بمعنى السيادة غــير واردة بالنسبة للموظف أو الوزير مسلما كان أو مــسيحيا أما الولاية بمعنى السلطة فــقد كانت للخلفاء وزراء وكتاب من المســيحيين واليهود .

٤- انظر «ودخلت الخيل الازهر» .

الفصل الأول

سلامه موسى

أخطر عملاء الغزو الفكرى

سلامة موسى..

اقليمى.. عدو للعروبة والإسلام.. عميل من أخطر عملاء الغزو الفكرى.. ارادوه أن يمثل دوراً بعينه.. أن يحمل معول الهدم، ليدمر تراثنا العربى، وعقيدتنا الإسلامية.

أرادوه أن يكون هو الأداة التى يحركها المستشرقون والمبشرون والخواجات.. فهو على الأقل يحمل اسماً مصرياً.. وإن يكن فجوره وتوقحه وإغراقه فى عداوة وطنه قد جعل شيخ العملاء «يعقوب صروف» يتشكك فى مصريته ويصر على أن به عرقاً غير مصرى (١).

وما كان غيره يقبل هذا الدور.. التقطوه من على مقاهى الإسكندرية، بلا مؤهلات، فشل فى تعلم القراءة والكتابة حتى سن الحادية عشرة (٢).. رغم تردده على مدارس الأقباط والمسلمين.. وعجزه عن مواصلة الدراسة إلى أبعد من الشهادة الابتدائية.. وأرسلوه إلى أوربا ليدرب ويعد للمهمة التى اختاروه لها.

وفى لحظة حاسمة من تاريخ أمتنا.. ومصطفى كامل يمزق حجب اليأس، وينفث فى الأمة روح الأمل يحاول أن ينسيها مرارة هزيمة الثورة العرابية.. ويدفع فى عروقها بحرارة اليقين، بقوتها، وقدرتها على هزيمة المحتلين.

ويوم شنق شهداء دنشواى، كان يتناول طعامه فى الإسكندرية، فأفسدت شهيته لمدة أسبوع! قرر بعده.. لا الانضمام إلى الحركة الوطنية.. بل الهرب إلى أوربا صاحبة المذبحة.

وقد كان رغم جهود مصطفى كامل، بل وبسبب هذه الجهود «ينظر نظرة تشاؤمية للحركة الوطنية» (٣).

---

(١) سلامة موسي وعصر القلق: فتحي خليل ص ٧٣.
(٢) سلامة موسى المفكر والإنسان: محمود الشرقاوى ص٢٩.
(٣) س.م. وعصر القلق ص٤٢